﴿*وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [الكهف: 99]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

الانتقالُ مِنْ ذكرِ علاماتِ السّاعةِ إلى ذكرِ قيامِها المهول

لمّا كانَ دَكُّ السَّدِّ وخروجُ يأجوجَ ومأجوجَ مِنَ العلاماتِ الكبرى لقيامِ السّاعةِ - ذكرَ اللّهُ تعالى بعدَهُ النَّفْخَ في الصّورِ لقيامِ السّاعةِ، وذكرَ ما يكونُ عندَ ذلكَ وما يكونُ بعدَهُ إلى حصولِ كلٍّ مِنَ المؤمنينَ والكافرينَ في دارِه ومَحَلِّ استقرارِه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَتَرَكۡنَا﴾: (ترك) يدل على التَّخلية[2]، ومفارقةُ الشَّيءِ ما كانَ عليهِ[3]، ومنهُ قولُهُ: ﴿وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾ [الأنعام: 94] ومعنى ﴿*وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ﴾: وجعَلْنا بعضَهم يَموجُ في بعضٍ[4].

2) ﴿يَمُوجُ﴾: (موج) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على اضطرابٍ في الشَّيءِ وحركةٍ واختلاطٍ[5]، وماجَ الأمرُ: اضطربَ، والمَوْجُ: ما ارتفعَ مِنَ الماءِ فوقَ الماءِ، سُمّيَ بذلكَ لاضطرابِه، وكلُّ شيءٍ اضطربَ فقد ماجَ[6]، ومِنَ المجازِ: ماجَ عنِ الحقِّ، إذا مالَ عنهُ[7]، وماجَ النّاسُ يَموجونَ، إذا اضطربوا[8]، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿*وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ﴾، أي: يختلطونَ مضطربينَ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 143 - 144، وشيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 5/ 517.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ترك).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ترك).
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 294.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (موج)، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (موج).
(6) الراغب، المفردات: (موج)، والسمين، عمدة الحفاظ: (موج)، والزبيدي، تاج العروس: (موج).
(7) الزمخشري، أساس البلاغة: (موج).
(8) الجوهري، الصحاح: (موج).

3) ﴿وَنُفِخَ﴾: (نفخ) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على عُلوٍّ واندفاعٍ للهواءِ في جوفِ الشَّيءِ[1]، وقولُهُ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: 29] كنايةٌ عنِ الإحياءِ وجعلِه ذا روحٍ[2]، ومعنى قولِه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾: ونَفَخ المَلَكُ نفخةَ البعث.

4) ﴿ٱلصُّورِ﴾: أصل (صور) حدودٌ تُبيِّنُ هيئةَ الشَّيءِ بالانعطافِ عليه وضمِّه وتمييزِه عن غيرِه، كشَطَّي النَّهرِ، وجانبَي الفم[3] والصّورُ: القَرْنُ الَّذي يَنْفُخُ فيه إسرافيلُ؛ لأنَّهُ مُعوَجٌّ عادةً، قالَ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ تماوج البشر، في هول ذلك المحشر

يُخبِرُ اللّهُ جل شأنه عن أمرٍ هائلٍ عظيمٍ، يكونُ بعدَ دَكِّ سدِّ يأجوجَ ومأجوجَ، فيقولُ: وجعَلْنا عِبادَنا يومَ يأتيهم وعدُنا الَّذي وعَدْناهم مُتدافعينَ مُتحيِّرينَ مُضطربينَ اضطرابَ أمواجِ البحرِ؛ لشدَّةِ هَوْلِ المَوْقِفِ عليهم، ونَفَخ المَلَكُ المُوَكَّلُ بذلك في القَرْنِ نفخةَ البعث، وهي النَّفخةُ الثّانيةُ، فجمَعْنا الخَلْقَ جميعًا إنسَهم وجِنَّهم، لموقفِ الحسابِ والجزاءِ[5].

وترشد الآيةُ الكريمةُ إلى تقرير وجود أمَّة يأجوجَ ومأجوج، وأنَّ خروجهم من أشراط الساعة الكبرى، وإلى إعادة الله الأرواحَ إلى الأجساد، وتقريرِ البعث والجزاء؛ بجمع الأولين والآخرين، والكافرين والمؤمنين، لموقف القيامة؛ ليُسألوا ويحاسبوا ويجْزَوا بأعمالهم[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نفخ)، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (نفخ).
(2) السمين، عمدة الحفاظ: (نفخ).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (صور).
(4) السمين، عمدة الحفاظ: (صور).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 120.
(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 487، والجزائري، أيسر التفاسير: 3/ 287.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الموقع الإعرابيّ لجملةِ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾:

الجملة مُقرِّرة لمضمونِ ما قبلَها

قولُهُ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ هذا مِنْ كلامِ اللهِ سبحانَهُ بعدَ انقضاءِ كلامِ ذي القرنين، وهو معطوفٌ على قولِه تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾، ومُقرِّرٌ ومُحقِّقٌ لمضمونِه؛ فإنَّ دكَّ السَّدِّ وخروجَ يأجوجَ ومأجوجَ مِنْ علاماتِ قيامِ السّاعةِ، وحَشْرِ العِبادِ، وما يتلو ذلكَ مِنَ الأحوالِ والأهوالِ والأفزاعِ والأمورِ العِظامِ[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ الماضي في ﴿وَتَرَكْنَا﴾:

استعمالُ الماضي في الأمرِ المستقبليِّ المقطوعِ بوقوعِه من فصيحِ البيان

عُبِّرَ بالماضي في قولِه ﷻ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ مع أنَّهُ أمرٌ مُستقبَليٌّ بصَدَدِ الوقوعِ؛ تنبيهًا على تحقُّقِ وقوعِه؛ لأنَّهُ لا خلافَ في إخبارِه جلَّ شأنُهُ، والماضي أقربُ إلى تحقُّقِ الوقوعِ نظرًا إلى لفظِه، إضافةً إلى أنَّ قولَهُ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ معطوفٌ على ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ الواقعِ في جوابِ ﴿فَإِذَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾، وقد تقدَّمَ أنَّها تُستعمَلُ في مقامِ الجزمِ بوقوعِ الشَّرطِ، ولذلكَ كانَ كلٌّ مِنْ جملتَي الشَّرطِ والجزاءِ فيها ماضيًا؛ لمناسبةِ مقامِ القَطْعِ.

سرُّ إسنادِ الفعلِ إلى نونِ العظَمةِ في ﴿وَتَرَكْنَا﴾:

تعظيمُ شأنِ تركِ بعضِهم يَموجُ في بعضٍ؛ لهولِ المشهدِ وجلالِ الموقفِ

يدلُّ إسنادُ الفعلِ إلى نونِ العظَمةِ في قولِه جلَّ وتباركَ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ على تعظيمِ شأنِ تركِ بعضِهم يومئذٍ يَموجُ في بعضٍ وتهويلِه، فالحدثُ عظيمٌ مَهيبٌ صادرٌ مِنْ عظيمٍ قديرٍ، لا يَقدرُ على ذلكَ غيرُهُ[2]، والغرضُ مِنْ ذلكَ إدخالُ الرَّوْعِ والمَهابةِ في نفوسِ السّامعينَ، والمقامُ يقتضي ذلكَ؛ لأنَّهُ مقامُ بيانِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 247، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 364، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 371.

(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 12/ 144.

جَبَروتِ اللّه تعالى في ذلكَ اليومِ العظيمِ، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ [غافر: 16].

بلاغةُ المجازِ في لفظِ ﴿وَتَرَكۡنَا﴾:

مفاد التَّرك جعلُ الشَّيءِ بحالةٍ مخالفةٍ لحالةٍ سابقةٍ

في قولِه جلَّ وتباركَ: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ﴾ مجازٌ؛ لأنَّ حقيقةَ التَّركِ: مفارقةُ شيءٍ شيئًا كانَ بقُرْبِه، ويُطلَقُ مجازًا على جعلِ الشَّيءِ بحالةٍ مخالفةٍ لحالةٍ سابقةٍ؛ تمثيلًا لحالِ وُجْدانِه على حالةٍ ثمَّ تغييرِها بحالِ مَنْ كانَ قُرْبَ شيءٍ ثمَّ ذهبَ عنهُ، وإنَّما يكونُ هذا المجازُ مُقيَّدًا بحالةٍ كانَ عليها مفعولُ (تركَ)، فيفيدُ أنَّ ذلكَ آخرُ العهدِ، وذلكَ يستتبعُ أنَّهُ يدومُ على ذلكَ الحالِ الَّذي تركَهُ عليها بالقرينةِ[1].

دلالة مرجع الضَّميرِ المضاف في لفظ ﴿بَعۡضَهُمۡ﴾:

الضَّميرُ لبيان عُمومِ الخَلْقِ على الأنسبِ

الضَّميرُ راجعٌ إلى عُمومِ الخَلْقِ إنسِهم وجِنِّهم، والمعنى: وجعَلْنا بعضَ الخَلْقِ يَموجُ في بعضٍ، أي: يضطربونَ ويختلطونَ حَيارى[2]، والمرادُ باليومِ في قولِه: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يومُ القيامةِ[3]، ولعلَّ ذلكَ قبلَ النَّفخةِ الأولى[4].

وقيلَ: يجوزُ أنْ يكونَ الضَّميرُ ليأجوجَ ومأجوجَ، وأنَّهم يَموجونَ حينَ يَخْرُجونَ ممّا وراءَ السَّدِّ مزدحمينَ في البلادِ[5]، وعليه يكونُ المرادُ باليومِ يومَ دَكِّ السَّدِّ[6]، والأظهرُ الأنسبُ أنْ يُرادَ عُمومُ الخَلْقِ، ويدخل فيهم يأجوجُ ومأجوجُ؛ إذ هم مِنْ جملةِ الخَلْقِ، وإنَّما كانَ أظهرَ وأنسبَ؛ لأنَّ السّياقَ يُؤيِّدُهُ؛ فقولُهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 40.
(2) الزمخشري، الكشاف: 2/ 748، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 65.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 544.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 247.
(5) الزمخشري، الكشاف: 2/ 748، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 228.
(6) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 500.

جَمْعًا﴾ يفيدُ حَشْرَ جميعِ الخلائقِ، وما بعدَهُ حديثٌ عن أحوالٍ تتعلَّقُ بجميعِهم لا بطائفةٍ مخصوصةٍ منهُم[1].

بلاغةُ الإيجازِ في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

التَّنوينُ في (يَوْمَئِذٍ) دالٌّ على العِوَض مِنَ الجملةِ المحذوفةِ

في قولِه جلَّ شأنُهُ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ إيجازٌ بالحذفِ؛ لأنَّ التَّنوينَ في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عِوَضٌ مِنْ جملةٍ محذوفةٍ تقديرُها: يومَ إذ جاءَ وعدُ ربّي بمجيءِ بعضِ مَباديهِ[2]، أو يومَ إذ حَجَرَ السَّدُّ بينَهم[3]، أو يومَ إذ دُكَّ السَّدُّ[4]، وفي الحذف إيجاز واتساع في المعنى، إذ تذهب النفس في تقدير المحذوف كلَّ مذهب.

غرضُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَمُوجُ﴾:

تصويرُ مشهدِ الاضطرابِ والتَّدافعِ تعبيرٌ عن الهولِ المرعبِ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾؛ لما في التَّعبيرِ بها مِنْ تصويرِ حالِ الخَلْقِ عندَ قيامِ السّاعةِ وهم يضطربونَ ويتدافعونَ، وكأنَّ السّامعَ ينظرُ إليهِم وهم على هذه الحالةِ في ذلكَ اليومِ العظيمِ الرَّهيبِ.

دلالةُ الموقعِ الإعرابيِّ لجملةِ ﴿يَمُوجُ﴾:

تصويرُ الحالِ المفزعةِ، بما يفيدُه تماوجُ البشرِ من مشاهدِ مروّعةٍ

يحتملُ الفعلُ ﴿وَتَرَكْنَا﴾ في قولِه عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أنْ يكونَ على أصلِه بمعنى طَرَحَ وخَلَّى، ولهُ مفعولٌ واحدٌ، وهو ﴿بَعْضَهُمْ﴾، وجملةُ ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ حالٌ مِنْ ﴿بَعْضَهُمْ﴾[5]، أي: وتركْنا بعضَ الخَلْقِ يومئذٍ مائجًا في بعضٍ، ويحتملُ أنْ تكونَ جملةُ ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ مفعولًا ثانيًا لـ ﴿وَتَرَكْنَا﴾ على تأويلِه بـ (جعَلْنا)[6]، أي: وجعَلْنا الخَلْقَ يومئذٍ مضطربينَ بينَهم،

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 172.
(2) السمين، الدر المصون: 7/ 551، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 247.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 65، والسمين، الدر المصون: 7/ 551.
(4) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 500.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 40.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 172، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 40.

وتقدير المعنى على الوجهين لا يتعارض، وإنما يؤكد الاختلاط والحَيْرة الناتجة عن شدة الموقف.

بلاغةُ الاستعارةِ في جملة ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾:

أثر الاستعارة معلوم في تصوير ذلك المشهد الموسوم

يحتملُ أن تكونَ الاستعارةُ في قوله جلَّ شأنُهُ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، تصريحيَّةً تبعيَّةً، شُبِّهَ اضطرابُهم وتردُّدُ بعضهم في بعضٍ كالمولَّهينَ مِنْ هَمٍّ وخوفٍ ونحوه بموجِ البحرِ الَّذي يضطربُ بعضُهُ في بعضٍ، واستُعيرَ لفظُ ﴿يَمُوجُ﴾ لذلكَ[1]، ويحتملُ أنْ تكونَ الاستعارةُ مكنيَّةً، شُبِّهوا في اضطرابِهم وتدافعِهم بالبحرِ، ثمَّ حُذِفَ المشبَّهُ به، وهو البحرُ، وأُبقيَ على شيءٍ مِنْ لوازمِهِ، وهو ﴿يَمُوجُ﴾.

دلالة التَّعبيرِ بالظَّرفية في السّياق:

مناسبةُ الظَّرفيَّةِ لمقامِ المبالغةِ في وصفِ شدَّةِ اضطرابِهم

لمّا كانَ المقامُ لبيانِ هَوْلِ مشهدِ يومِ القيامةِ بولِغَ في تصويرِ شدَّةِ اضطرابِ الخَلْقِ في ذلكَ اليومِ بتشبيههم في تدافعِهم واضطرابِهم بأمواجِ البحرِ في تلاطمِها وتدافعِها، وزيدَتْ هذه المبالغةُ بالإتيانِ بـ ﴿فِي﴾ الظَّرفيَّةِ الَّتي تُفيدُ أنَّ كلًّا منهُم صارَ بمنزلةِ الظَّرفِ والمَحَلِّ لاضطرابِ الآخرِ، فقيلَ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، والمعنى: فإذا كانَتِ القيامةُ تركْناهم يَموجُ بعضُهم في بعضٍ كموجِ الماءِ، لا تستطيعُ أنْ تُفرِّقَ بعضَهم مِنْ بعضٍ، كما أنَّكَ لا تستطيعُ فصلَ ذرّاتِ الماءِ في الأمواجِ، يختلطُ فيهم الحابلُ بالنّابلِ، والقويُّ بالضَّعيفِ، والخائفُ بالمُخيفِ[2].

بلاغة أسلوب التَّخلُّصِ في ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾:

بيان النّقلة من الاعتبارِ بما في القصَّةِ، إلى التَّذكيرِ بأحوالِ الآخرةِ

قيلَ: قولُهُ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ تخلُّصٌ مِنَ الاعتبارِ بما في قصَّةِ يأجوجَ ومأجوجَ مِنْ إقامةِ المصالحِ في الدُّنيا على أيدي مِنِ اختارَهُ اللّهُ لإقامتِها مِنْ خاصَّةِ أوليائِه إلى

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 544، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 65، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 40.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 15/ 8993.

التَّذكيرِ بأحوالِ الآخرةِ، وهو تخلُّصٌ يُؤذِنُ بتشبيه حالِ تموُّجِهم بحالِ تموُّجِ النّاسِ في المَحْشرِ؛ تذكيرًا للسّامعينَ بأمرِ الحَشْرِ، وتقريبًا لحصولِه في خيالِ المشركينَ؛ فإنَّ القادرَ على جمعِ أُمَّةٍ كاملةٍ وراءَ هذا السَّدِّ هو أقدرُ على جمعِ الأُمَمِ في الحَشْرِ بقُدرتِه[1]، ولا يخفى أنَّ هذا التَّخلُّصَ مبنيٌّ على أنَّ مرجعَ الضَّميرِ في ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ هو يأجوجُ ومأجوجُ، وقد تقدَّمَ أنَّ الرّاجحَ رجوعُهُ إلى عمومِ الخَلْقِ، وعليه يكونُ التَّخلُّصُ قد بدأَ في قولِه تعالى قبلَ ذلكَ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾.

دلالة التَّعبيرِ بالماضي في النَّفخ والجمع:

التَّنبيهُ على تحقُّقِ وقوعِ النَّفخِ والجمعِ مفصحٌ عن المراد

جاء التعبيرُ في قولِه ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ على الماضي، والمرادُ منهُ المُستقبَلُ، أي: يُنفَخُ في الصّورِ فيجمعُهم جمعًا، ومِثلُ هذا كثيرٌ في القرآنِ، يُذكَرُ الماضي بلفظِ المُستقبَلِ، ويُذكَرُ المُستقبَلُ بلفظِ الماضي[2]، والغرضُ مِن استعمالِ الماضي موضعَ المستقبلِ في هذا السّياقِ التَّنبيهُ على تحقيقِ وقوعِه[3]؛ لأنَّهُ صادرٌ ممَّنْ لا إخلافَ في إخبارِه، وهذا يلائمُ غايةَ الملاءمةِ غرضًا أساسيًّا مِنْ أغراضِ هذه السّورةِ؛ وهو إثباتُ البعثِ والنُّشورِ.

معنى الظرفية في قولِهِ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾:

الصّورُ مَحَلُّ النَّفخِ وظَرْفُهُ في اللّغةِ والاستعمال

في التَّعبيرِ بـ﴿فِي﴾ الظَّرفيَّةِ في قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الصّورَ هو ظرفُ النَّفْخِ ومَحَلُّهُ؛ لأنَّ النَّفخَ يستدعي منفوخًا فيه يحصلُ فيه سَرَيانُ الهواءِ.

دلالةُ اللّامِ في لفظ ﴿ٱلصُّورِ﴾:

اللّامُ في قولِه عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ للعهدِ، وهي تفيدُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 41.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 210.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4592، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 41.

الصّورُ المعهود في الاستعمال القرآنيّ المجيد

أنَّ الصّورَ الَّذي يُنفَخُ فيه يومَ القيامةِ صورٌ معهودٌ معلومٌ؛ لكثرةِ ورودِه في القرآنِ وعلى لسانِ الشّارعِ، وهذا الصّورُ لا نظيرَ لهُ ولا مثيلَ في وظيفتِه وعِظَمِ شأنِه وهَوْلِه، ولذلكَ لا يشتبهُ بغيرِه، بل إذا أُطلِقَ لفظُ الصّورِ في مقامِ الحديثِ عن يومِ القيامةِ، فلا يتبادرُ معنى غيرُهُ إلى الذِّهنِ.

بلاغةُ الاستعارةِ في النَّفخ في الصور:

المجازُ اللّطيف من البيان الفصح المنيف

قيلَ: في قولِه ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا﴾ مجازٌ لطيفٌ؛ فالنَّفْخُ في الصّورِ استعارةٌ تمثيليَّةٌ مكنيَّةٌ؛ تشبيهًا لحالِ الدّاعي المُطاعِ وحالِ المدعوِّ الكثيرِ العددِ السَّريعِ الإجابةِ بحالِ الجُنْدِ الَّذينَ يُنفِّذونَ أمرَ القائدِ بالنَّفيرِ، فينفُخونَ في بوقِ النَّفيرِ، وبحالِ بقيَّةِ الجُنْدِ حينَ يسمعونَ بوقَ النَّفيرِ، فيُسرِعونَ إلى الخروجِ[1]، وقيلَ: يجوزُ أنْ يكونَ الصّورُ مِنْ مخلوقاتِ الآخرةِ، والحالةُ المُمثَّلةُ حالةٌ غريبةٌ لا يعلمُ تفصيلَها إلا اللّهُ تعالى[2]، والظّاهرُ هو الثّاني؛ لكثرةِ ذكرِ الصّورِ والنَّفخِ فيه في القرآنِ الكريمِ في نحو عشر مرات، والأصلُ هو الحَملُ على الظّاهرِ؛ إذ لا صارفَ عنهُ، ولا سيَّما وقد وردَ عددٌ مُعيَّنٌ للنَّفخِ في الصّورِ، كنفخةِ البعثِ، ونفخةِ الحسابِ، وذلكَ يُبعِدُ احتمالَ المجازِ، وأحوالُ الآخرةِ لا تُقاسُ على أحوالِ الدُّنيا.

سرُّ ذكرِ جملة: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾:

ترتيب الجمع مع النَّفخ، إشارة إلى ميقاته

الظّاهرُ أنَّ المرادَ بالنَّفخةِ في قولِه تباركَ شأنُهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ النَّفخةُ الثّانيةُ، بدليلِ الفاءِ، في قولِه تعالى: ﴿فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعًا﴾؛ فهي عاطفةٌ تعقيبيَّةٌ، فتفيدُ ترتُّبَ الجمعِ على النَّفخِ، والجمعُ يكونُ بعدَ النَّفخةِ الثّانيةِ، وعدمُ التَّعرُّضِ لذكرِ النَّفخةِ الأولى لأنَّها داهيةٌ عامَّةٌ ليسَ فيها حالةٌ مختصَّةٌ بالكفّارِ، ولئلّا يقعَ الفصلُ بينَ ما يقعُ في

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4592، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 41.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 41.

النَّشأةِ الأولى مِنَ الأحوالِ والأهوالِ وبينَ ما يقعُ منها في النَّشأةِ الآخِرةِ، أي: جمَعْنا الخلائقَ بعدَما تفرَّقَتْ أوصالُهم، وتمزَّقَتْ أجسادُهم، في صعيدٍ واحدٍ للحسابِ[1]، ويجوز أنْ تكونَ الفاءُ في ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ فصيحةً، فيكونُ المرادُ النَّفخةَ الأولى، ويكونُ في الكلامِ حذفٌ، أي: ونُفِخَ في الصّورِ فماتَ الخَلْقُ كلُّهم، فبَلِيَتْ أجسامُهم، وتفتَّتَتْ عِظامُهم، كما كانَ مَنْ تقدَّمَهم، ثمَّ نُفِخَ فيه النَّفخةُ الثانيةُ فجمَعْناهم مِنَ التُّرابِ بعدَ تمزُّقِهم فيه وتفرُّقِهم[2].

علَّةُ إسنادِ ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾ إلى نونِ العظَمةِ:

جمعُ الخَلْقِ في صعيدٍ واحدٍ لا يقدرُ عليه إلّا الواحدُ

لمّا كانَ مِنَ الأغراضِ الأساسيَّةِ لسورةِ الكهفِ، إثباتُ البعثِ والنُّشورِ، أُسنِدَ فعلُ الجمعِ، في قولِه جلَّ وعزَّ: ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾، إلى نونِ العظَمةِ؛ تفخيمًا لشأنِه، وتأكيدًا لتحقُّقِه ووقوعِه، بصدورِه مِنَ العظيمِ القديرِ الَّذي لا يُعجِزُهُ شيءٌ، وفي ذلكَ مزيدُ ردٍّ على الجاحدينَ المعاندينَ المنكرينَ.

مرجعُ ضميرِ المفعولِ في ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾:

جمعُ عُمومِ الخَلْقِ في عرصاتِ القيامةِ من علاماتِ الإحاطةِ والقدرةِ

ضميرُ المفعولِ في قولِه جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ راجعٌ لعُمومِ الخَلْقِ إنسِهم وجِنِّهم، والمعنى: ونُفِخَ في الصّورِ فجمَعْنا جميعَ الخَلْقِ بعدَما تفرَّقَتْ أوصالُهم وتمزَّقَتْ أجسادُهم في صعيدٍ واحدٍ للحسابِ والجزاءِ[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمفعولِ المُطْلَقِ ﴿جَمْعًا﴾:

بيانُ تأكيدِ تحقُّقِ الجمعِ مع دفعِ توهُّمِ المجازِ

أُتيَ بالمفعولِ المُطلَقِ في قولِه جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾، ولم يُقتصَرْ على ذكرِ فعلِ الجمعِ؛ تأكيدًا لتحقُّقِ الجمعِ[4]، إمّا في نفسِه،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 247، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 372، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 365.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 144.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 122، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 65، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 365.

(4) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 321.

أو باعتبارِ الزَّمانِ بالإتيانِ بهِم مجتمعينَ في زمنٍ واحدٍ للحسابِ، لا يتخلَّفُ منهُم أحدٌ، فهو على الأوَّلِ مصدرٌ مُؤكِّدٌ لنفسِهِ، وعلى الثّاني مُؤكِّدٌ لغيرِهِ[1]، وفي الإتيانِ به أيضًا تأكيدُ أنَّهُ جمعٌ حقيقيٌّ، ليسَ مِنَ المجازِ[2]، إضافةً إلى أنَّ ذكرَهُ في الآيةِ يترتَّبُ عليه مراعاةُ ملاءمةِ الفاصلةِ لما قبلَها وما بعدَها.

الغرض من تنكيرِ لفظ ﴿جَمْعًا﴾ في السّياق:

يدلُّ تنكيرُ ﴿جَمْعًا﴾ في قولِه ﷻ: ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ على تفخيم شأنِ الجمعِ وتهويلِه، أي: فجمَعْناهم جمعًا عجيبًا لا يُكتَنَهُ كُنْهُهُ[3]، وفي ذلكَ تربيةٌ للمَهابةِ في نفوسِ السّامعينَ، ومزيدُ تأكيدٍ لوقوعِ البعثِ والنُّشورِ، والمقامُ يقتضي ذلكَ؛ لأنَّ هذه مُقدِّماتٌ للعَرْضِ والحسابِ.

التَّفخيمُ والتَّهويلُ، يبرز الصّورة ببيان أظهر وأجلى

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 104، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4592.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 42.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 247، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 365، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 42.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»